﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾

[مريم: 51]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الاستطراد في بيان فضائل ذرّية إبراهيم عليهم السلام

لـمَّا ذكر اللّه ﷻ إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، أفضت المناسبة إلى أن يذكر موسى عليه السلام في هذا الموضع؛ لأنّه أشرف نبيّ من ذرّية إسحاق ويعقوب[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُخۡلَصٗا﴾: (خلص) أَصْلٌ مُطَّرِدٌ، يَدلُّ على تَنْقِيَةُ الشَّيْءِ وتَهْذيبُهُ، يقولونَ: خَلَّصْتُهُ مِنْ كَذا وخَلَصَ هوَ[2]، والخالص كالصَّافي إلَّا أنّ الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصَّافي قد يقال لما لا شَوبَ فيه، وحقيقة الإخلاص: التّبرّي عن كلّ ما دون اللّه تعالى[3]، وبكسر اللام تكون بمعنى جَعلِ الشيء خالصًا صافيًا، وبفتح اللّام فهم الّذين أخلصهم اللّه لرسالته وهذا معنى كلّ المخلَصين في القرآن[4]، وكلا المعنيين مقصود في الآية لورود القراءتين فيها.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

ذكر قصص عباد الله الصَّالحين من الأنبياء والمرسلين

يأمر اللّه ﷻ نبيّه محمّدًا ﷺ بأن يذكر في القرآن قصّة موسى عليه السلام فإنّه كان مصطفى مختارًا، وكان رسولًا نبيًّا مِن أولي العزم من الرّسل[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 126.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلص).
(3) الراغب، المفردات: (خلص).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خلص).
(5) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 308.

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ اللّهَ جمعَ لموسى ﷺ بين الرسالة والنبوة، فالرسالةُ تقتضي تبليغَ كلام المرسل، وتبليغَ جميع ما جاء به من الشرع، دقّه وجُلّه، والنبوة تقتضي إيحاء اللّه إليه وتخصيصه بإنزال الوحي إليه، فالنبوة بينه وبين ربه، والرسالة بينه وبين الخلق، بل خصَّه اللّه من أنواع الوحي، بأجل أنواعه وأفضلها، وهو: تكليمُه تعالى وتقريبُه مناجيًا للّه تعالى، وبهذا اختصَّ من بين الأنبياء، بأنه كليم الرحمن[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾:

التنويه بالأنبياء من ذرّيّة إبراهيم ﷺ

استُهلّ قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾ بحرف الواو الدالّ على العطف والاقتران؛ وذلك لأنّ قوله ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ عطف على قوله: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ وعلى قوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم: 2]، فكأنّه لما انتهت قصة عيسى وزكريا وإبراهيم ﷺ، قال قد ذكرت حال زكريّا وإبراهيم ﷺ فاذكر حال موسى ﷺ[2]؛ وذلك لأنّ أهمّ ما اشتملت عليه هذه السورة التّنْويهُ بالأنبياء والرّسل السَّالفين.

سرّ تكرار الفعل ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾:

أمـــر الـنـبـيّ ﷺ بـتـلاوة قصص الأنبياء السَّابقين

تكرّر في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾ الفعل ﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ وهو خطاب للرسول ﷺ، والمراد: (اتل عليهم نبأ موسى)، وإنّما قال العلماء بأنّ المقصود من الذكر هنا هو التلاوة؛ لأنّ ذاكر ذلك في الكتاب هو اللّه تعالى، والكتاب كتابه ﷻ، وقيل: إنّه ﷺ لكونه الناطق عنه تعالى ومبلغ أوامره ونواهيه كان كأنّه الذّاكر في الكتاب ما ذكره ربه ﷻ[3]، كما أنّ من فوائد مخاطبة الرسول ﷺ بهذا الأمر، أنّه ﷺ

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 494.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 355.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 413.

ما كان هو ولا قومه ولا أهل بلدته مشتغلين بالعلم ومطالعة الكتب، فإذا أخبر عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك إخبارًا عن الغيب ومعجزًا قاهرًا دالًّا على نبوَّته[1].

فائدة التقييد بعبارة ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾:

حفظ الله لكتابه في الصّدور والسّطور

أُطلِق في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾ اسم الكتاب على القرآن باعتبار أنّ الله أنزله ليكتب، وأنّ الأمّة مأمورون بكتابته وإن كان نزوله على الرسول ﷺ لفظًا غير مكتوب، وفي هذا إشارة إلى أنه سيكتب في المصاحف، وقد يكون المراد بـ ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ ما نزل من القرآن قبل هذه السورة وقد كتبه كُتَّاب الوحي[2].

نكتة ذكر موسى عليه السلام في الآية:

الاستطراد مع فرع إسحاق وذرّيته عليهم السلام

جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾ ذكر موسى عليه السلام بعد ذكر قصّة إبراهيم عليه السلام لمناسبة كون السياق مع ذرّيّة إبراهيم عليه السلام مستطردًا مع فرع إسحاق، فذكر موسى وهارون عليهما السلام، كما تظهر المناسبة بينهما في أنّ موسى عليه السلام كان موافقًا لأبيه إبراهيم عليه السلام في أن كلًّا منهما أراد مَلِكُ زمانِه الذي ادّعى الربوبية قتله خوفًا على مُلكه منه، فأنجاه الله منه، وأمر موسى عليه السلام أعجب لأنه سبحانه أنجاه من الذِبح بالذَّبَّاح نفسه[3].

علّة فصل جملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾:

التنويه بفضائل موسى عليه السلام

وردت الجملة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ مفصولة عن الجملة قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ﴾؛ لشبه كمال الاتصال، وهو كون الجملة الثانية قويّة الارتباط بالأولى؛ لوقوعها جوابًا عن سؤال يُفهم من الجملة الأولى، فتُفصل عنها

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 541.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 160.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 211.

كما يُفصل الجواب عن السؤال[1]، وقد وقعت جملة إنّه كان مُخْلَصًا موقع التّعليل للاهتمام بذكر موسى عليه السلام في التلاوة[2].

إيثار التعبير بلفظ ﴿مُخْلَصًا﴾:

القراءة مع القراءة كالآية مع الآية

اختلفت القراءات في كلمة ﴿مُخْلَصًا﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ فقرأ الكوفيّون بفتح اللّام، وقرأ الباقون بكسر اللّام: ﴿مُخْلِصًا﴾[3]، فمن قرأ بفتح اللّام فهو من الاصطفاء والاجتباء، كأنّ الله تعالى اصطفاه واستخلصه، واصطفاه على العالمين، ومن قرأ بالكسر فهو مِنْ (أخلص القاصر) إذا كان الإخلاص صفته، على معنى أنه كان مخلصًا لله تعالى، في جميع أعماله، وأقواله، ونياته، فوصفه الإخلاص في جميع أحواله، والإخلاص في أمر ما: الإتيان به غير مشوب بتقصير ولا تفريط ولا هوادة، مشتقّ من الخُلوص، وهو التَمحُّض وعدم الخَلط، والمراد هنا: الإخلاص فيما هو شأنه، وهو الرّسالة بقرينة المقام[4].

والمعنيان متلازمان، فإنَّ الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصُه موجب لاستخلاصه، وأجلُّ حالة يوصف بها العبد، الإخلاص منه، والاستخلاص من ربه[5].

سرُّ تقديم صفة الإخلاص هنا على غيرها:

اختصاص موسى عليه السلام بوصف الإخلاص

قدّم النظم القرآني في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ صفة الإخلاص لاختصاص موسى عليه السلام بهذا الوصف، فإنّه أخلص في الدعوة إلى الله فاستخفَّ بأعظم جبَّار في زمانه وهو فرعون، وجادله مجادلة الأَكْفاء دون خوف، فكان الإخلاص في أداء

(1) الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 180.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 112.
(3) ابن الجزري، النشر: 02/ 295.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 97.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 548، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 494.

أمانة الله تعالى ميزته، إضافة إلى أنّ الله أَخْلَصَهُ بأن اصطفاه لكلامه مباشرة قبل أن يرسل إليه الملك بالوحي، فكان مخلَصا بذلك، أي مصطفى، فتلك مزية أيضًا له، قال تعالى ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: 41][1].

نكتة العطف في قوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾:

زيادة الاصطفاء إلى فضائل موسى عليه السلام

عطف قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ على قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾ بحرف الواو الدالّ على الجمع، فأضاف النظم القرآني إلى فضائل موسى عليه السلام السَّابقة من الاصطفاء والإخلاص في العبادة كونه جامعًا للرّسالة والنبوّة زيادة في التنويه بقدره، وتأكيدًا لتفضيل إبراهيم عليه السلام وذريّته على العالمين.

فائدة تكرار فعل الكون في الآية:

تأكيد رسوخ صفة الرسالة والنبوّة في موسى عليه السلام

تكرّر في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ذكر ﴿وَكَانَ﴾ الزائدة التي تأتي في اللغة للدلالة على تمكّن الوصف على سبيل المبالغة، وهي تكون بصيغة الماضي غالبًا[2]؛ وذلك لنكتة تأكيد رسوخ صفة الرسالة والنبوّة في موسى عليه السلام، ولا جرم فهو من أولي العزم من الرسل.

علة وصف موسى بكونه ﴿رَسُولًا نَّبِيًّا﴾:

الأثر العظيم لرسالة موسى عليه السلام في العالمين

ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ الجمع بين وصفي الرّسالة والنبوّة لموسى عليه السلام، فهو رسول ونبيّ، وقد عطف ﴿نَّبِيًّا﴾ على ﴿رَسُولًا﴾ مع أن الرَّسول بالمعنى الشرعي أخصُّ من النبيّ، إذ الرّسول هو المرسل بشرع جديد من الله ليبلغ إلى النَّاس، فلا يكون الرّسول إلَّا نبيًّا، وأمَّا النبيّ فهو المنبأ بوحي من الله متابعًا لشرع رسول قبله، فيكون نبيًّا وليس رسولًا، فوقع الجمع بينهما هنا لموسى عليه السلام لتأكيد الوصف، إشارةً إلى أن رسالته بلغت مبلغًا قويًّا[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 127.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 112.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 127.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرّسول والنّبيّ:

الرَّسول من أوحي إليه بشرع جديد والنّبيّ تابع لشرع قبله

تكلّم كثير من العلماء في التفريق بين الرّسول والنّبيّ، ويكاد لا يسلم أيّ تفريق من الاستدراك، فقال الحافظ ابن حجر: "إنَّ النّبي والرّسول اشتركا في أمر عام وهو النّبأ، وافترقا في الرّسالة، فإذا قلت: فلان رسول تضمّن أنه نبيّ رسول، وإذا قلت: فلان نبيّ لم يستلزم أنّه رسول، ويختلف لفظ النّبيّ عن لفظ الرّسول في أصل الوضع اللغوي، فإنّ النّبيّ من النّبأ، وهو الخبر، فالنّبيّ في العرف هو المنبأ من جهة الله بأمر يقتضي تكليفًا، وإن أمر بتبليغه إلى غيره فهو رسول، وإلَّا فهو نبيّ غير رسول، وعلى هذا فكلّ رسول نبيّ بلا عكس"[1].

واستدرك عليه الشيخ الشنقيطي في الأضواء بأنّ ما اشتهر على ألسنة أهل العلم من أن النّبيّ هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه، وأنّ الرّسول هو النّبيّ الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي إليه غير صحيح؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: 52] يدلُّ على أنّ كلًّا منهما مرسل، وأنّهما مع ذلك بينهما تغاير، ولهذا استظهر قول بعضهم: أنّ النّبيّ الّذي هو رسول، أنزل إليه كتاب وشرع مستقلّ، مع المعجزة التي ثبتت بها نبوّته، وأنّ النّبيّ المرسل الّذي هو غير الرّسول: هو من لم ينزل عليه كتاب، وإنّما أوحي إليه أن يدعو النَّاس إلى شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الّذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بيّنه تعالى بقوله ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ [المائدة: 44] الآية[2].

(1) العسقلاني، فتح الباري: 11/ 112.
(2) الشنقيطي، أضواء البيان: 5/ 802.

وممَّا يقوّي هذا التّفريق أنّه لا يمكن أن ينزِّل الله وحيًا لإنسان واحد فقط، ولا يبلغه أحدًا، والنَّبيّ ﷺ يقول: "عُرِضَتْ عليَّ الأمم، فرأيتُ النّبيّ ومعه الرهط، والنّبيّ ومعه الرجل والرجلان، والنّبيّ وليس معه أحد"[1].

فنخلص إلى أنَّ أقوى فرق بين النّبيّ والرّسول: أنّ الرّسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنّبيّ هو المبعوث لتقرير شرعِ مَن قبله، وأكثر أنبياء بني إسرائيل كذلك، وهو الأقرب للصّواب[2]، والله أعلم.

(1) متفق عليه، رواه البخاري، الجامع الصحيح، الحديث رقم: (5705)، ومسلم في صحيحه، الحديث رقم: (220).
(2) الأشقر، الرسل والرسالات، ص: 14.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»